

المقطف

الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠١ - الموافق ١١ شوال سنة ١٣١٨

وفاة الملكة فكتوريا

لم تشهد الكرة الارضية حزناً عمّ قاراتها وجزائرها كما شهدت في اواخر الشهر الماضي لما نفذ القضاء الذي قضى به الله على كل حي في الملكة فكتوريا بعد ان حكمت اربع مئة مليون من الناس اكثر من ستين عاماً فارثقوا في عهدا ارتقاء لا مثيل له في تاريخ الانسان . ولدت هذه الملكة العظيمة في الرابع والعشرين من شهر مايو (ايار) سنة ١٨١٩ ووقعت الى سدة الملك في العشرين من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٣٧ فتوفيت في الثانية والثلاثين من عمرها والرابعة والستين من ملكها . عمر طويل قضته في ما ارضى الخالق واسعد الخلق . واخترت صحتها في السنة الماضية فاصابها شيء من الدسيسييا والارق وكانت تنقد قوة النطق احيانا وهي دلائل الاشتغال الكثير بهام الملك والحزن الشديد على ما نجت به من الترميل والشكل وما ختم به ملكها من هذه الحرب الترنسفالية المشؤمة وهي الملكة التي تشتري السلام بكل - مرتخص وغال .

وزادت اعراض الضعف عليها في السادس عشر من يناير الماضي لكن ارادتها كانت تقوى عليها فتجملد وتجادث عوداها . ثم اشتدت الاعراض في التاسع عشر من الشهر الى ان توفيت الى رحمة ربهيا بلا ألم ولا وجع بعد ظهر الثاني والعشرين بست ساعات ونصف ساعة . وللحال طير البرق نعيمها الى ممالكها الوسيعة في كل اقطار المسكونة وعلى منائر الممالك وكان في الناس كلهم قد علموا انها مريضة وان نهايتها صارت قريبة لكبر سنها وحالة ضعفها لكن ذلك لم يخفف ما اعترام من الحزن والوجوم لهول المصاب . وما حل بالممالك الانكليزية حل بغيرها من ممالك الارض فأبطلت محافل الفرح ورفعت شارات الحداد في كل الاقطار ووردت برسائل

التحزبة على خليفتها الملك ادورد السابع وعلى حكومتها من كل الملوك واصحاب المقامات العالية في كل ممالك الارض . واسرع الملوك والعظماء لشيع جنازتها والاحتفال بدفنها وفي جملتهم امبراطور المانيا وملك بلجيكيا وملك البرتغال وملك اليونان والفران دوق ميخائيل الروسي شقيق القيصر وولي عهد اسوج وولي عهد ايطاليا والبرنس محمد علي شقيق الخناب الخديوي وغيرهم من نواب الممالك وعظماء الامم

وانتتها الصحف الانكليزية وغير الانكليزية على اختلاف لغاتها ونزعاتها وافاضت في ذكر مناقبها ووصف مزايا ملكها وصدرت كلها موشحة بالسواد حتى الصحف والمجلات العلمية والادبية وهي انما فعلت ما يجب عليها نحو ملكة ارتقى العلم في عصرها ارتقاء لا مثيل له في كل العصور السالفة وتعرّز شان الآداب والفنائل لانها وجدت فيها اعظم نصير لها وقد كتبنا تاريخ حياتها منذ ثلاث سنوات وانشأنا فصلاً مسهباً وصفنا فيه ارتقاء بلادها في عيدها ورأينا الآن ان نعبد بعضه هنا لافتضاء الموضوع ذلك وهو

ارتقاء بلاد كبيرة كالبلاد الانكليزية عمل عظيم جداً يستدعي إعمال الوفاء من العقول الكبيرة والآراء السديدة مدة سنين كثيرة لكن هذه الآراء وتلك العقول قد تعجز عن ترقية البلاد اذا كان ملكها ظالماً غشوماً او خاملاً لا يسعى في مصلحة بلاده ولا يهتم باصلاح شأنها . فلملك الحكم الذي يشارك رجاله في سياسة بلاده ويختار الاكفاء منهم لتولي خطتها ويقودهم بحكمته في مسالك الامن الشان الاعظم في إنجاح البلاد وتعزيز اركانها

وغني عن البيان ان الملكة فكتوريا اليد الطولى في ما باغتته البلاد الانكليزية من الارتقاء في عيدها لانها اتصفت بكل صفات الملك الحكم العادل المشارك لرجالها في كل ما يعود على بلاده بالخير والفلاح وارتقاء بلاده لا يتضح مقداره إلا بالمقابلة بين حاضرها وماضيها وهذه المقابلة لا توفى حقها في اقل من مجلد كبير لكن الارتقاء عظيم وشامل لكل الاعمال والمعاملات مادية كانت او اديية حتى تكفي الاشارة اليه بالايجاز اذا تعدد الاسهاب فنقول

جلست الملكة فكتوريا على سرير الملك والحواجز كبيرة والاسوار منيعة بين السوق والاعيان هؤلاء يتربعون في المناصب العالية ويتمتعون باطياب الحياة واولئك يقصون عنها ويمنعون من الدنومنها . نعم كانت قوانين البلاد تقضي بالمساواة وعدم المعايبة لكن كان فيها عوامل اخرى تحض النعم والمنافع يقوم دون غيرهم فكانت خدمة الحكومة مباحة للجميع ولكن لم يكن يعين فيها ولا ينتفع منها الا اناس مخصوصون لقيود وروابط كثيرة يقضي بها ذوو المآرب مآربهم . وكذلك قل عن حتى الانتخاب والدخول في مجالس النواب وفي المدارس العالية . فقام

انصار الحق في عيد الملكة فكتوريا وقطعوا تلك القيود ويسروا على الوضع مجازاة الرفيع ولا يزال هذا دأبهم

وسعى العلماء والاطباء في اكتشاف اسباب الامراض والوقاية منها وساعدتهم المجالس البلدية على اتخاذ التدابير الصحية فقلَّ معدَّل الوفيات وخبث وطأة الاوبئة فزاد عدد السكان زيادة عظيمة حتى مالوا الجزائر الانكليزية وهاجر اكثر من تسعة ملايين منهم لتعمير مستعمراتها الوسيعة والانضمام الى اخوانهم في الولايات المتحدة الاميركية . وحيثما ذهبوا اخذوا معهم لغتهم وعلومهم وعبادتهم الحرية والانصاف التي نشأوا عليها وهذا سر نجاحهم في مستعمراتهم فانهم لا يكتفون برفع رايهم على البلدان التي يتعمونها بل يرتحلون اليها ويسكنون فيها ويشاركون اهلها في تعميرها

وقد زادت مستعمراتهم في هذه الاثناء زيادة لا مثيل لها في تاريخ الممالك فزادت مساحتها في بلاد الهند ٢٧٥ الف ميل مربع اي اكثر من مساحة بلاد النمسا . وفي سائر اسيا ٨٠ الف ميل مربع اي قدر مساوية بريطانيا نفسها . وفي جنوبي افريقية ٢٠٠ الف ميل مربع وفي شرقها مليون ميل مربع . وكانت مساحة البلاد الانكليزية ومستعمراتها حينما حصلت الملكة علي سرير الملك ٨٣٢٩٠٠٠ ميل مربع فبلغت الآن ١١٢٥٠٠٠٠ اي زادت ٢٩٢١٠٠٠ ميل مربع في ستين سنة وكان عدد سكانها ١٦٨ مليوناً فبلغ الآن ٤٠٠ مليون وكان عدد الانكليزي في جزائرم ٢٥٧٥٠٠٠٠ وفي مستعمراتهم نحو ١٥٠٠٠٠٠٠ فبلغ عددهم الآن في جزائرم ٣٩٥٠٠٠٠٠٠ وفي مستعمراتهم ١٠٥٠٠٠٠٠٠ اي زاد عددهم من ٢٧ مليوناً الى خمسين مليوناً عدا المدين هاجروا منهم الى الولايات المتحدة الاميركية . وكان دخل الحكومة الانكليزية منذ ستين سنة نحو ٧٥ مليون جنيه ٥٠ منها من بريطانيا و ٢٥ من الهند وهو الآن ١١٠ ملايين جنيه من بريطانيا و ٦٣ مليون جنيه من الهند و ٣٠ مليون جنيه من استراليا و ٨ ملايين جنيه من كندا و ٧ ملايين جنيه من بلاد الراين و ٧ ملايين من سائر المستعمرات الانكليزية وجملة ذلك ٢٢٥ مليون جنيه

واتسع نطاق التعليم والتدريب في الممالك الانكليزية بنوع عام وفي البلاد الانكليزية الاصلية بنوع خاص فبلغ عدد تلامذتها اليوم ستة ملايين ونصف مليون وكانوا قبلاً ٢٥٠ الفاً فقط وبلغت الاموال التي تنفقها الحكومة على التعليم عشرة ملايين جنيه وكانت لا تزيد على مليون جنيه

وزادت ثروة الامة الانكليزية في بلادها من الف مليون جنيه الى عشرة آلاف مليون

وزادت أسباب الرفاهة والنعيم على أكثر من حذو النسبة وزاد المال الذي يقتصده فقراء
الامة في بنوك الاقتصاد من $18 \frac{1}{2}$ مليون جنيه الى ١٥٠ مليوناً

وكثر عدد المحسنين فبنوا ملاجئ للارامل والايام والمقطنين وبيوتاً صحية للفقراء على
اختلاف طبقاتهم. ومن هؤلاء المحسنين بيدي الغني الاميركي الذي وهب فقراء لندن خمس
مئة الف جنيه. وما كانت الملكة شاعرة بكل ما يجري في مملكها كما يجب ان يكون الرأس
في الجسم الحي عرفت قدر هذه الهبة وكتبت اليه تقول

بلغ الملكة ان المستر بيدي عزم على العودة الى اميركا وهي لا تريد ان يترك بلادها
من غير ان تثبت له شدة اعتبارها للعمل الشرف والهبة الفاتقة هبات الملوك التي اراد بها
تخفيف المصائب عن الفقراء من رعاياها المقيمين في مدينة لندن. وفي اعتقاد الملكة ان هذا
العمل الشرف لا مثيل له بين اعمال الناس وفضل جزاء له ما يشعر به عامله من السرور
حينما يعلم مقدار النفع العظيم الذي تقع به اولئك المساكين. ولم تكن الملكة لترضى باظهار
شكرها من غير ان تعطي المستر بيدي علامة من علامات دولتها تدل على اعترافها بفضل
العظيم وكانت تسر لو منحته رتبة عالية او نشاناً سامياً ولكن بلغها انه ممنوع من قبول ذلك
بقوانين بلادهم فلم يبق لها والحالة هذه سوى ان تقدم له هذه السطور المعربة عما تشعر به
من الشكر وتطلب منه ان يقبل منها صورة من صورها تصور له خاصة ومتى تم تصويرها
ترسل اليه الى اميركا او تعطى له حينما يعود الى هذه البلاد اذ بلغها ما سرها وهو انه عاجز
على العودة الى هذه البلاد المديرية له ديناً عظيماً

وصنعت الصورة حسب اشارة الملكة وهي اول مرة صنعت فيها صورتها لتهدى الى غير الملوك
والصورة من المينا على لوح من الذهب يحيط بها اطار كبير من الذهب الايريز وعليد الناج الملكي والملكة
فيها لابسة الخلة الملكية التي فتحت بها البارانت وهي الخلة الملكية الوحيدة التي ليست بها بعد ترئسها
وهند ثلاث سنوات احتفل اهل مدينة بيدي بايركا بعيد مئة سنة من يوم ميلاد
فبعثت اليهم رسالة برفية تقول فيها "ان تذكاري جورج بيدي لم يزل يتجدد في قلبي
وقلب شامي بالشكر الجزيل لما له من الميزات القرونة بالكرم والفضل". فللكة مثل هذه تمنح
هم المحسنين وتحمي آثارهم توجد من الهدم وتجعل المال في ايدي الاغنياء آلة للبر والاحسان
بدلاً من ان يكون آلة للشرف والفساد

واباغ من تقدم بلادها العقلي والمادي تقدمها الادبي والاجتماعي فالخص ما يمتاز به حكمها تعميم
الحرية والمساواة حتى يشترك في خيرات ممالكها كل احد من رعاياها كبيراً كان او صغيراً غنياً

او فقيراً . وكل بلاد ارتفع فيها العلم البريطاني صارت مقصدًا للناس على اختلاف اجناسهم يقصدونها للارتزاق والاتجار فتساوي بينهم كأنهم من رعاياها . وقد منحت كندا واستراليا وزيلاندا الجديدة وبلاد الراس حكومة نيابية تكاد تكون مستقلة في كل شيء بل صار النساء يتخبزن ايضاً للنياحة في بعضها ولا يبعد ان تشمل الحكومة النياحية اقسام بلاد الهند فتصير السلطنة الانكليزية كلها مجموع ولايات مستقلة تربطها رابطة الحرية الشخصية والمصلحة العمومية . هذا ما كتبناه منذ ثلاث سنوات ولو كتبناه الآن ما حذفنا حرفاً واحداً منه بل زدناه تأكيذاً وثبتيًا فان عدد السكان زاد في هذه السنوات على نسبة ما زاد في السنين الماضية فبلغ في الجزائر البريطانية اكثر من اربعين مليوناً ونصف مليون بل وبلغ دخل الحكومة مئة وعشرين مليوناً من الجنيهاً من بريطانيا واكثر من ٦٧ مليوناً من الكرونا وعشرة ملايين ونصف مليون من كندا وثمانية ملايين ونصف مليون من بلاد الراس . وسمت بلاد الترانسفال وبلاد اورنج الحرة الى الاملاك الانكليزية ولو يثنى حال جداً من الدماء والاموال . وانقضت اقسام استراليا بعضها الى بعض فصارت جمهورية كبيرة مرتبطة بالبلاد الاصلية . واثبتت المستعمرات الانكليزية كلها انها مرتبطة بعضها ببعض وبالبلاد الاصلية باشتراكها كلها في الحرب الترانسفالية . وقد استاء كثير من هذه الحرب وودوا لو لم تكن ونمت اعداء انكرا بما كانت تلقاه من الفشل احياناً ولكنهم لم ينكروا ما ابدته من الهمة والاندام والمقدرة التي تفوق كل ما جاء في تاريخ الاوائل والاواخر فيجيشها نحو ثلثثة الف نفس وارسالم الى البعد مكان في قارة افريقية مع كل ما يلزم لهم من الزاد والميرة . ولم تكف بالحاجيات بل ارسلت اليهم الكماليات ايضاً وبعض الاطياب التي لا يجمع بها الناس الا في يوتهم ولم تستخدم لذلك سؤنة الحقيقية . ثم لما قضى الله بوفاة الملكة بادرت ام الارض كلها الى مجاملة الامة الانكليزية كما باحت يوم الاحتفال بعيد الماس حينما بلغ حكم ملكتها ستين عاماً وقبلها نسبت تيران هذه الحرب . وما ذلك الا لان مقام الملكة ومقام مملكتها عزيزان في النفوس . والجرائد الفرنسية التي كانت تعتاب الانكليز كلما حانت لها فرصة لم يسعها الا التعجب بمقدرتهم يوم استعرضوا اشاطيلهم البحرية وقت الاحتفال بيوبيل الملكة والانفاضة في وصف مناقبها لما توفاهم الله الى رحمة . وعاشت الملكة حتى رأت اولاد احفادها واتضح لها ان الملك يبقى في اعقابها بسنين كثيرة وقد وصلت اليها صورتها مع ولي عهدا وولي عهد ابن ولي العهد كما ترى في الصفحة التالية هذا وقد كان من حظ المتطف ان نشأ في عصر هذه الملكة فاستقى من بحار العلماء الذين نشأوا في عصرها وفي بلادها واقطف من ثمار المعارف البانعة في الصحف العلمية انكليزية

واميركية تشارك مجلات بلادها في ارتقائها فهو يشاركها الآن ايضاً في رفع واجب العزاء الى



شعبها ويسطر بعداد الفخر فضائلها وفواضلها لتبقى قدوة للملك والبنات والزوجات والامهات
ما كرت الايام والاعوام